سيميائية العنوان الفرعي في الرواية العراقية دراسة في نماذج مختارة

م.م. عمار جميل عباس أ.د. حسين عودة هاشم النور
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة
Email:husainalnoor153@gmail.com am73mar@gamil.com

الملخص

يعنى هذا البحث بتسليط الضوء على علم السيمياء من خلال دراسة بعض العنوانات الفرعية في الرواية العراقية ، تناولنا تعريف السيمياء لغة واصطلاحا ومن ثم علم العنونة ، واستعرض البحث نماذج مختارة لبعض العنوانات الفرعية في الرواية العراقية وتحليلها تحليلا سيميائيا ، والهدف من هذه الدراسة استنطاق النصوص الروائية وتحليلها وتأويلها سيميائيا .

الكلمات المفتاحية: السيمياء ، العنوان ، الدلالة ، الرواية .

Semiotics of Subtitle in the Iraqi Novel
A study of selected samples

Assist . Lect. Ammar Jameel Abbas
Prof. Dr. Hussein Oudah Hashin
College of Education for Human Sciences / University of Basrah
Email : am73mar@gamil.com husainalnoor153@gmail.com

Abstract

The research attempted to shed light upon semiotics as a science by studying some samples of Iraqi novel subtitles. Through this study, the researchers gave definitions to semiotics, linguistically and idiomatically, and then dealt with the science of titling, also linguistically and idiomatically. This study highlighted the importance of semiotics for the study of Iraqi novel subtitles.

Keywords: semiotics, title, semantics, novel, novelist**.**

المقدمة

إنَ المنهج السيميائي يعطي انطباعاً علاماتية النص الروائي ، ويمنح القارئ الموهوب الإشارات والعلامات التي من خلالها يستطيع الوصول إلى حوارات الدلالية التي يحملها العنوان الروائي ، وهذهِ العلامة أو الإشارة أو الأيقونة التواصلية لها وجودها المادي واقتصادها اللغوي الخاص ، والعنوان في أي مؤلف هو عبارة عن إشارة سيميائية تأسيسية وحمولات دلالية وعلامات وإشارات إيمائية شديدة التنوع والثراء مثلها مثل النص ، بل هي نص موازٍ إلى النص داخل المتن ، وهذهِ السيميائية في العنوان تساعد على إعادة قراءة النص الروائي لأنهُ يفجر طاقات جديدة، وإن من العنوان يبدأ فعل القراءة لدى القارئ المبدع، وهي فعل تواصلي تأويلي، والعنوان ذو بُعد إشاري سيميائي ، وبما أنه علامة سيميائية يؤسس لفضاء نصي واسع وكبير، قد يفجر طاقات هاجعةً أو ساكنةً في ذهن المتلقي أو القارئ ، ومن خلال هذهِ الحمولة الفكرية والثقافية ، يبدأ القارئ معها فوراً عملية التأويل والتفسير والتحليل للعنوان . والعنوان بنية نصية مستقلة وهو اشتقاق دلائلي خاص ، أو هو إنتاجية دلائلية منها العمل الأدبي أو النثري .

تعريف السيمياء

أهتم علماء العرب وغيرهم بعلم السيمياء ، حيث ربطوها بالعلامة أو الإشارة كونها علماً واسعاً ، شملت الكثير من العلوم اللغوية ، وارتبطت بالأعمال الإشهارية والعلاماتية ، إضافة إلى آداب التحية والسلام وبعض التقاليد السائدة في المجتمع ما ، وفنون التواصل الإنساني ، للتعرف على ماهية هذا المصطلح العلمي جدير بنا أن نتطرق إلى معناه من الناحية اللغوية والاصطلاحية :

السيمياء لغةً

ورد في لسان العرب " لإبن منظور " في معجمهُ في مادة (و. س. م) أن " وسمه وسماً وسمةً إذا أتو في بسمةٍ وكيَّ ، والهاءُ عوضٌ عن الواوُ . وفي الحديث : أنهُ كان يسمُ إبل الصدقة ، أيَّ يُعلَّم عليها بالكيَّ . وأتسم الرجلُ إذا جعل لنفسهُ سمةً ويُعرف بها ، وأصل الياء واوَ والوسامُ : ما وُسم بهِ البعيرُ من ضُروب الصور . والميسمُ : المكواة أو الشيءُ الذي يُوسم بهِ الدَّوَاب ، قال أبو سعيد يُريُد بالنافع الطَّويَّ وبالجاسد القديم . وسمٌ منقعُ أيَّ مُرَّبي ، قال الشاعر :

فيها ذرارِعُ وسمَّ منقعُ .... والسمة العلاقة ... وهي مشتقةَ من الفعل سام الذي هو مقلوب وسم وهي على صورة فُعلاء ، ويقولون : السمة ، السيماء ، السيمياءٌ ، والسوُّمة وهي العلامة التي يعبر بها الخير من الشر ، والسُّومه بالضم ، العلامة على الشاة ، في الحرب وجمعها السَّيُم وقيل الشُّومةَ ، وهي التي عليها السَّما ، أيَّ العلامة "[١] .

يلاحظ من خلال التعريف لإبن منظور أن لفظة السَّمة عندهُ . قد ارتبطت بالإشارة والعلامة التي تميز بها الشيء . وورد أيضاً في معجم الوسيط في مادة (و. س. م) حيث نجد أن " السيماء بمعنى السحر ، وحامل أحداث خيالية لا وجود لها في الحس ، وَتَسَّوم فلان ، أيَّ أتخذ سمة يُعرف بها ، والسَّومة بمعنى العلامة والقيمة ، يُقال أنهُ غالي السَّومة ، والسيماء تعني العلامة ، والسَّومة : السَّمة والعلامة والقيمة "[٢] .

كذلك وردت لفظة السَّمة في عدة مواضع من القرآن الكريم منها قولهُ تعالى ((سيماهم في وجوههم))[٣] . وأيضا في قولهِ تعالى : ((هو الأول ولآخر والظاهر والباطن)) [٤] . فكلمة (سيماهم) تؤدي بمعنى العلامة والإشارة حسب بعض التعابير التي تطرقت إليها هذهِ الآيات ، يعني السمت الحسن هو الأثر في الوجه ...[٥] ، وجاء في معجم العين تحليل بن أحمد الفراهيدي من فعل وسم ، وسم وسمة فهو اسم : " جعل لهُ علامة يُعرف بها ، " وسم فرسه " وسمة بالخير ووسم بالعار وسم أوسم وسامة، فهو وسم الوجه، جميل ، توسم ويتوسم ، وَسماً الشيء طلب علامة "[٦] .

السيمياء اصطِلاحاً

إن السيمياء علم واسع وشامل وجامع في طياتهِ الكثير من العلوم والمعارف ولهذا عرفهُ دي سوسير في كتابهِ محاضرات في الألسنة العامة " أنهُ عبارة عن : علم يدرس الإشارات أو العلامات داخل الحياة الاجتماعية "[٧] . فهو من بشر بهذا العلم الجديد الذي ستكون مهمتهُ دراسة الإشارات والعلامات في داخل الحياة الاجتماعية ، فيقول : " إن اللغة نسق من العلاقات التي تعبر عن الأفكار ، وإنها لتقارب بهذا مع الكتابة ، ومع أبجدية الصم والبكم ، ومع الشعائر الرمزية ، ومع صيغ اللياقة ومع العلامات العسكرية ...وإنها لتعد فقط النسق الأهم من كل هذهِ الأنساق وإننا لا نستطيع إذن أن نتصور علماً يُدرس حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية ، وأنهُ يشكل جزءاً من علم النفس العام . وسنعطي لهذا العالم اسم العلاماتية

، وأنهُ سيعلمنا مما تتكون العلامات ، وأي القوانين تحكمها ، ولأنهُ مازال غير موجود يمكننا القول إنهُ سيوجد ، ولكنهُ يمتلك الحق في الوجود ، إذ إن مكانهُ محدود مسبقاً "[٨] . أما عند الفيلسوف السيميائي (تشارل سندرس بيرس) " فالسيميائيات تُعتبر منطقاً ، حين يقول المنطق في معناه العام ليس سوى قسمية أخرى للسيميائيات ، تلك النظرية شبه الضرورية والشكلية للعلامات "[٩].

والسيميائية أو السميوطيقية أو السميولوجية " هي النظرية التي توظف علم العلامات في دراسة وتحليل أنواع الاتصال والدلالة والمعنى من خلال أنظمة العلامات ، ليس فقط في المجالات الأدبية واللغوية ، بل في مختلف العلوم وشتى أنواع المعرفة .

فهي تركز في تطبيقاتها ونتائجها ابتداءً من ممارسات الاتصال الحيواني البدائي ، وانتهاء بأكثر أنظمة الاتصال الإنساني تعقيداً أو تشابكاً وتركيباً من لغة الأساطير والشعر والأدب عامة ، وعلوم اللغويات والانثروبولوجية والسوسيولوجية واليكولوجية والرياضة ، والمنطق والفلسفة والرياضي ، والعلوم الطبيعية الإنسانية بصفة عامة "[١٠] .

والسيماء والسيميائية هي : "علم الإشارات أو علم الدلالات ، وذلك انطلاقاً من الخليقة الإبستمولوجية الدالة حسب تعبير غريماس على أنهُ كل شيء حولنا في حالة بث غير منقطع للإشارات ، فالمعاني (والمعاني محصلة للإشارات المجتمعة) لصيقة بكل شيء...هي عالقة بكل الموجودات حيّها وجامدها، عاقلها وغير عاقلها، وما علينا نحن المتلقون سوى إبداء النية في التلقي لكي يشرع العقل في عملية مفادها تفكيك الشبكات للمعاني المحيطة بها "[١١] .

إن العالم السويدي دي سوسير لم يتناول السيمياء إلا عرضاً في فترة لم يشق فيها البحث اللساني طريقه بعد ، وبالتالي لم يكن بوسع هذا العلم الجديد – السيمياء أن يتبلور بعد كمجال حرفي مخصوص . فقد أقتصر تقديم تصور عام لا غير في تصور لهذا العلم والموضوعية والمنهجية .

إن السيمياء : " تنطلق في تصور سوسير من نظام جديد للوقائع ، ذلك إن اللسان نسق دلائل معبرة من أفكار لتكتسب من ثم وظيفة رمزية داخل المجتمعات المختلفة ، ولما كان هذهِ الوقائع تشمل داخلها على عدة أصناف من الدلائل ، فإن للدلائل اللسانية ليست سوى فرع من

هذا العلم ، فالدلائل اللسانية لا تشكل ألا فرعاً من عموم الدلائل ، فهي علم خاص بفرع محدّد من الدلائل "[١٢].

ويقول الدكتور صلاح فضل في موضوع تعريف السيمياء : " تطلق السيمياء على العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات للدلالة وكيفية هذهِ الدلالة ، وقد اقترح قيمتهُ في اللغة العربية (السيميائية) ، أيَّ العلامات أو الإشارات ، وهي تسميتهُ موفقة في استخدامها للكلمة العربية (سيمياء)، أيَّ علامة أو ملمح "[١٣]. ويقول في موضوع آخر حول السيميائية: "للسيميائية تاريخ طويل نسبياً إذ بدأت كعلم في القرن الماضي على يد (بيرس) الذي أخذ يدرس الرموز ودلالتها وعلاقاتها في جميع الموضوعات الطبيعية والإنسانية "[١٤] .

سيميائية العنوان الفرعي في الرواية العراقية

يَّعد فضاء العنوانات الفرعية بمثابة تكملة للعنوانات الرئيسة ، ومرايا عاكسة لتشظياتها، وأفرع نصية محملة بجملة حمولات دلالية وحمولات ومعانٍ وأفكار يدعم بها الروائي نظرتهُ، فإذا كان لكل رواية عنوان رئيس فإن العنوانات الفرعية تختلف من روائي لآخر بحسب مقومات كل رواية ، ومنهُ العنوانات الفرعية كالعنوانات الرئيسة أو الأصلية غير أن هذا الأخير يوجه الجمهور عامة ، أما العنوانات الفرعية تتحدد بمعدل إطلاع وقراءة الجمهور على الرواية أو الكتاب أو المتن .

إن لكل عنوان علاقة قصدية بموضوعه ، غير أن كل العنوانات النصية تصيب في العنوانات الرئيسة من حيث ارتباطهُ بالعمل نفسه ، هكذا تصير العنوانات الفرعية ذات حمولات دلالية وسيميائية مع الفصول ، والكل ذو بنية دلالية كبرى مع النص في تلاحقها .

بعد دراسة العنوانات الرئيسة أو دراسة العنوان والغلاف انتقلنا إلى رصد العنوانات الفرعية أو الداخلية المشكلة للرواية ، إذ لا تختلف هذهِ الأخيرة عن وظيفة العنوان الرئيس، فهي أيضاً تسهم في فك الحمولات الدلالية والشفرات والرموز للعنوان الرئيس ، محتوى للعنوانات الداخلية في (مشرحة بغداد) لبرهان شاوي ، جاءت في شكل فصول عددها أثنى عشرة فصلاً مركباً في جملة ذات معان ودلالات يمكن فصلها في سياق النص الروائي دون أن تحدث خللا ، فقد يشعر قارئها خارج سياقها على أنها قصة قصيرة ، وتكمن عناوين رواية (مشرحة بغداد) فيما يلي :-

١- الذبح بسكين المطبخ في البانيو .
٢- الآخرون .
٣- تأملات من قاعة التشريح .

١- العنوان الأول " الذبح بسكين المطبخ في البانيو "

هذا العنوان بهيئتهِ يمثل علامة إشهار حيث إنهُ يفصح عن حالة الذبح والقتل التي عاشتها مدينة بغداد ، ويطرح أمامنا جملة من التساؤلات لا نستطيع الإجابة عنها إلا بالغوص في أغوار النص ، ويتشكل هذا العنوان من جملة إسمية ومعظم مفرداتها أسماء ، إن الروائي أراد أن يكون العنوان على هذهِ الصورة التركيبية لقوة الحمولات الدلالية الأسمية من الناحية تجعلهُ متجهاً نحو الثبات والاستقرار ، وأخف على الذوق السليم من الدلالة الفعلية من ناحية أخرى .

وأول دال ظاهر من العنوان هو (الذبح) ولفظة (الذبح) نعرفها معجمياً بالاستناد إلى ما جاء في المعجم لسان العرب :

ذبحً " الذبحُ : قطع الحلقوم من باطن النصيل ، وهو موضوع الذبح من الحلق ، والذبحُ: مصدر ذبحتُ الشَّاةَ . يقال : ذَبَحَهُ يَذَبُحهَ ذبحِاً ، فهو مذبوحٌ "[١٥] .

أما اللفظة الثانية التي تحتاج إلى أن نعرفها معجمياً هي لفظة (سكين) .

سَكَّينُ فِعَّيلُ من ذَبْحتُ الشيءَ حتى سَكَنَ اضطرابهُ ، وقال الأزهري : " سُمَّيتْ سكيناً لأنها تَسكّنُ الذبيحة ، أَيَّ تُسكنها بالحرتِ ، وكلَّ شيءِ مات فقد سكنّ "[١٦].

والسكين واحدة من الآلات الحادة التي يستعملها الناس في ذبح الحيوانات أو تقطع اللحوم ، وترجع أهمية السكين لكونها آلةً حادةً وهذا يظهر جلياً في هذهِ الرواية كحديث عن القتل والذبح بصفحةٍ عامةٍ والسكين بصفة خاصة .

أما من الناحية الدلالية والسيميائية ، فليس من باب الاعتباط تصدير العنوان الذبح ، وهو التركيز بمكانة الذبح والقتل عند المجاميع الداعشية ، فضلاً عن أول شيء يستعمل في الذبح هي (السكين) من جهة ، ومن جهة ثانية كان من الضروري أن تتصدر لفظة (الذبح) أو (السكين) في هذهِ الرواية .

وللفت الانتباه في العنوان الأول أن الافتتاحية بالذبح كانت مدروسة ومحبوكة ففيها ينتبه القارئ أو المتلقي إلى حالة الذبح والقتل الذي دار في نص الرواية .

ومن هنا نستخلص أن الروائي أستخدم رمز (الذبح) ورمز (السكين) للدلالة على الحالة التي تفردت بها مدينة بغداد وأصبحت مدينة في كل فضائها ذبح وقتل ، ولفظة (البانيو) لفظة إنكليزية " (Bathtub) الإنكليزية ومعناها (حمام يعطي معنى استحمام مغطس) "[١٧] ، أما في المعجم لسان العرب " الحمّام ، وأستحم إذا أغتسل بالماء الحميم ، وأحممَّ نفسه إذا غسلها بالماء الحار "[١٨] . وفي كتاب العين " الحَمَّام : أخذ من الحميم ، تُذكرُه الغرب والحميم : الماء الحارُّ "[١٩] .

وقولهُ أيضاً : " إن يشاهد فيلماً تسجيلياً عن عملية ذبح حقيقية "[٢٠] ، وفي مقطع آخر من النص نجد قولهُ : " إن يشاهد فيلم الذبح قبل الفيلم الجنسي "[٢١]. وفي نص آخر يقول فيهِ : " في هذهِ الأثناء ضغط الأثنان على الفتى المذكور باتجاه حافة الحوض ، بينما كان هو يبدي مقاومة لا إرادية في تلك اللحظة أمسك حامل السكين بخصلة شعر أمامية ساحباً رأس الفتى المذكور إلى الأعلى بقوة ، بينما مَرَّ نصل سكينةُ الكبيرة على عُنقهِ ذابحاً إياهُ فنفر الدم بقوةً ملوثاً للحائط "[٢٢] ، وفي مقطع آخر يقول : " كان الفتى الذبيح يحرك كتفيهِ "[٢٣] .

إذن نستنتج في نهاية هذا الفصل من الرواية أنهُ في ظل لحظة من اللحظات يتحدث عن الذبح والفتى في رمز رموزها الأساسية وهو رمز الفتى (المذبوح) ، كما نستنتج أن (المصدر الذبح) في بداية العنوان الذبح وهنا يوجه الروائي كلاماً إلى القارئ مشبهاً فضاء بغداد على أنهُ فضاء ذبح وقتل وعنف .

١- العنوان الثاني (الآخرون)

من خلال هذا العنوان نرى من الوهلة الأولى أنهُ جملة أسمية حذف مبتدأها وبقي خبرها و(الآخرون) ، والروائي حاول أن ينقل لنا المرحلة التي عاش فيها حارس (المشرحة) آدم الحارس ، من خلال العنوان (الآخرون) وهذا العنوان لهُ حمولات دلالية وسيميائية تدل على أن الموتى في المشرحة هم الآخرون والأولون في هذهِ المشرحة ، ولذلك وجب الغوص في أغوار النص ، وفك البنية المعجمية لهذهِ الكلمة ، والتي تتجلى في (الآخرون) ، وهي دال

ظاهر من العنوان وهي خبر لمبتدأ محذوف ، لذا جاء معناها (الآخرون) في لسان العرب (الآخرون أو الآخر : خلاف الأول ، والأنثى آخرةُ .

حكى ثعلبُ : هَنَّ الأولاتُ دُخُولاً والآخراتُ خروجاً ، والأزهري : وأما الآخرُ بكسرُ الخاء[٢٤]: قال تعالى : ((تعرفهم بسيماهم)) [٢٥] ، وجاء في كتاب العين معنى الآخر :

" والآخرُ والآخرةُ: نقيض المتقدم والمتقدمة، ومقدم الشيءِ مُؤَخَّرَهُ.... والآخر : الغائب "[٢٦] .

والحمولات الدلالية والسيميائية للآخرين في رواية (مشرحة بغداد) هي أن الحارس آدم حارس المشرحة لا يرى وجوداً للناس في حياتهِ إلا الموتى وهم الآخرون الذين يصبحون صادقين في الدنيا والآخرة ، حيث يقول في هذا العنوان الفرعي الآخرون : " أما الموتى ، جثث الموتى ، فهم الأصدقاء الذين لا نخافهم بل ويتعاطف معهم ، ويحترمهم لأنهم عبروا حاجز الحياة ودخلوا في الحقبة الأخرى ، حيث لا شعور بالألم ، بل كان يحسّ بالإشفاق على أهلهم الذين يراهم يتوافدون على المشرحة عند وصول جثة ما متباكين أو نائحين ، يشفق عليهم لأنهم لا يدركون بأن أحبتهم تجاوزوا المعاناة والألم في هذهِ الدنيا "[٢٧] . وفي مقطع يرى آدم الحارس الأخر هي جثة الفتاة ، إذ يقول : " خرج من غرفتهِ : اتجهَ إلى قاعة الجثث . دخل مقترباً . من جثة الفتاة المحددة على النقالة . أزاحَ الغطاءَ عن وجهها وظل واقفاً يتأملهُ"[٢٨].

من خلال هذين النصين يشعر الحارس آدم لا وجود للناس الصادقين إلا في المشرحة، ولا وجود للآخرين إلا في هذهِ المشرحة والجثث الموجودة فيها .

٢- العنوان الثالث : تأملات من قاعة التشريح

إن العنوان الذي بين أيدينا يميل إلى جملة فعلية تبدأ بالفعل (تأمل) ، أما باقي مفردات العنوان فهي أسماء وهذا حال معظم عناوين الرواية هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى فنجد أن العنوان يدخل ضمن العنوان الفرعي من حيث النوع ، أما من حيث الوظيفة يؤدي وظيفة سيميائية إغرائية بهدف إغواء وتشويق المتلقي للغوص في أغوار النص ، وأن الكلمات التي يتضمنها عنوان ما يزرع فيهِ حب القراءة ، وهذا يؤدي إلى فعل القراءة عند القارئ ، والقارئ أو المتأمل لهذا العنوان يلاحظ أن هناك عنفاً من القتل والذبح مرتبطة بقاعة التشريح ، حيث

هذا (التأمل) دلالة الفعل (تأمل) فالخطاب موجه إلى الحارس آدم في تأملاتهُ في المشرحة والجثث وتشريح هذهِ الأجساد .

ويحمل هذا العنوان دلالات ومعاني تتكشف عن طريق القراءة التأويلية والسيميائية في أثناء فترات قراءتنا للنص ، لكن قبل ذلك لابد من العودة إلى المفاهيم المعجمية ، حيث اختار الروائي ألفاظهُ بشكل مدروس بدقة ولم يخترها عشوائياً ، فأول دال يمكن تحليلهُ معجمياً لفظة (التأملات) يقول صاحب معجم العين في التَّأمُّل : " الّتأمُّل : التثبت في النظر قال :

تَّأمَّل خليلي هل تَرَى من طعائنِ

تحَملْنَ بالعلياء من فوق جُرثُم "[٢٩] .

وجاء في لسان العرب معنى تَّأمُّل " التَّأمَّل : التثبت ، تَأملتُ الشيءَ أَيَّ نظرتُ إليهِ مستثبتاً لهُ . وتَّأمُّل الَّرجُلُ : تثبتَ في الأمر والنظر "[٣٠] .

يقدم العنوان الفرعي في هذا الفعل من الرواية الأحداث التي وقعت في حياة مدينة بغداد، حيث استعمل الروائي بقولهِ : " كانوا يتعاملون مع الجثث بلا أَيَّ اعتبار ، فهي بالنسبة لهم جثث ، كُتلَ من اللحم ، حالها حال جثث الأغنام يقطعها بلا أَيَّ شعور أو إحساس خاص بالتعاطف الإنساني ، بل أحياناً بنوع من القسوة مثل أَيَّ قصاب في السوق ، فإذا ما لاقى صعوبةٍ في التشريح جزء أو فتح عضلة فإنهُ يأخذ الساطور ليهوي على ذلك الجزَّء مهشماً إياه أو قطعاً أو هارساً لهُ "[٣١] .

وفي مقطع آخر يقول الروائي : " دمّرت هذهِ المهنة حياة آدم ليس بالمعنى المادي ، فهي على العكس ضمنت لهُ راتباً شهرياً ومأوى جيداً ، لكنَ حياتهُ دُمَّرت من جانب آخر ، إذ لم يعد يرى في الناس سوى كُتل لحم بشعةً وجيفٍ تحشي وأحشاء مليئةً بالبِراز والفضلات النتنة "[٣٢].

وفي مقطع آخر يقول : " لكنهُ انتبه ، بعد ذلك ، إلى أن المرأة كانت في حياتها جميلة وذات جسد مثير ، إلا أنها الآن جثةً هامدةً ، باردةً فاقدةً للإثارة على الرغم من عُريها الفاتن؟ كما أنهُ انتبه إلى أن المساعد تفوح منهُ رائحة كريهةً أيضاً ، ربما أكثر عفونةً ونتانةً من رائحة جثة المرأة العارية "[٣٣].

إن شخصية الحارس آدم مرت في كثير من الأحداث في المشرحة والمشاهد المروعة التي شاهدها في أُم عينه في قاعة المشرحة والتشريح ، كل هذهِ المشاهد جعلت من آدم يتأمل حياة هذهِ المدينة بغداد ، هل من أمل لتعود إلى تاريخها وحضارتها واستقرارها المعهود سابقاً، ولكن آدم شعر بالحياة في بغداد كأنها المشرحة والجثث المتعفنة والنتنة هكذا حال مدينة بغداد.

٣- العنوان الرابع : الجثث الهاربة

في هذا العنوان تحدث الروائي عن الجثث الهاربة في شوارع بغداد وأزقتها ، حيث تناولها في هذا العنوان (الجثث الهاربة) ، إذ يمثل هذا العنوان يمثل علامة إغراء وإغواء نقطة غموض لدى القارئ ، يفصح عنها ببعض الصفات والأحداث التي دارت في الرواية ولا يكشف عن سببها ، وهو في حالة جملة أسمية يغيب عنها الفعل وكأن الروائي أراد أن يكون العنوان على هذهِ الصورة التركيبية لقوة الحمولات الدلالية لجملة الأسمية ، وإن الدال ظاهر من العنوان يحتاج إلى كشف عنهُ الخفاء والإبهام والغموض ، ومن خلال هذا التحليل المعجمي ، إذ إن العنوان يحتوي على العديد من الدلالات والعلامات والإيحاءات السيميائية ، ولكن قبل تناول المستوى السيميائي والدلالي للعنوان ، وجب تناول المستوى المعجمي لهُ ، وأول نقطة بارزة في العنوان تحتاج إلى كشف دلالتها المعجمية هي (الجثث) نعرفها معجمياً بالإسناد إلى ما جاء في لسان العرب " جثث ، الجثُ : القطعُ ، وقيل أقطعُ الشيءِ من أصلِهِ . وقيل : انتزاعُ الشجر مِنْ أصُولهِ "[٣٤] . وأيضاً في السان " الجثةُ ! شخصُ الإنسانِ ، قاعداً أو نائماً وقيل جُثَّةُ الإنسانِ شخصُهُ ، متكئاً أو مضطجعاً، وقيل : لا يُقال لهُ جُثَّةُ ، إلا أن يكون قاعداً أو نائماً، فأما القائمُ فلا يُقال جُثَّتُهُ ، وإنما يُقالُ ضِمتُّهُ . وقيل : لا يُقال جُثّةُ إلا أن يكون على سرج أو رجلٍ مُعتماً ، ... قال: وقد تَجوُزُ أن يكُونَ أُجثْاثُ جمع جُثتِ للذي هو جمع جُثّةُ "[٣٥] . وجاء أيضاً في كتاب العين : " الجثُ : قُطعُكُ الشيءَ من أصله ، والاجتُثاثُ أوحى منهُ ، واللازم أنجِث وأجتثَّ أيضاً ... والجثَّةُ : خَلْقُ البدن الجسِيم "[٣٦] .

من خلال هذا التعريف المعجمي للجثث ، تطالعنا هذهِ الصفة بدلالة سيميائية وإيحائية بعد كشف مضامينها السطحية بأنها تمد بصلة بمكونات النص والمفاهيم العميقة التي تنطوي عليها ، إذ تبين هذهِ الحمولة الدلالية أن كلمة (جثة) هي دال على أن الجثة أصدق حديثاً من الإنسان الحي ، ولا يرد بهِ شيء آخر حيث يقول : " لأن من المؤكد أنهُ ليس بجثث ، لأنهُ

لم يعرف بعد سر الموت ؟ هؤلاء قد عبروا إلى الضفة الأخرى ، فهم لا يشعرون بالألم ؟ تُرى هل الشعور بالألم هو ما يميز الإنسان الحي عن الميت ؟ وهو يخاف والموتى لا يخافون ، لكن هل فعلاً أن الموتى لا يخافون ؟ من قال ذلك ؟ "[٣٧] . ويقول في مقطع آخر : " فكر للحظات بمصير هذهِ الجثث ، فهو يعرف أصحابها معظمها رجال من مختلف الأعمار ، رجال بلا أسماء ، ولا هويات شخصية ، فهم مجهولون ولا يعرف أحد منهم شيئاً ، سوى أنهم موتى ، لكن أين ستذهبون "[٣٨]. ويقول في مقطع آخر : " كانت تتحرك في الشارع المقابل للمشرحة في الظلمة حركات بطيئة وميكانيكية ، لكنها تبقى حركات لأجساد بشرية ، من بعيد رأى الرجال الثلاثة الذين كانوا يقفون أمام البوابة عند المطر "[٣٩].

يتبين من خلال هذا الحدث الروائي أن العنوان الفرعي (الجثث الهاربة) إن الكاتب يرسم لنا صورة للجثث الهاربة ، وذلك من أجل إغراء وإغواء القارئ في هذهِ الصورة الروائية التي تنقلنا إلى عالم الموت والدمار والخراب الذي عانتهُ مدينة بغداد وخاصة العنف ، وجود الجثث في شوارعها وأزقتها ، وكأنها هاربة من أحداث العنف والحروب الطائفية التي مرت بها هذهِ المدينة . والمتمعن في هذا العنف المادي ينتبه إلى أن الجثث المذكورة في العنوان هي عبارة عن مدونة أو سجل تأريخي ينقل لنا تلك الأيام التي مرت على العراق عام ٢٠٠٣ وفي بغداد خاصة .

نستنتج أخيراً أن العنوان الفرعي يحيل لنا أن الجثث تدل على العنف المنتشر في كل شوارع وأزقة بغداد ، إضافة إلى وجود لفظة (جثث) و (هاربة) يتبين من هذا أن الجثث تحمل دلالة إيحائية فظاعة العنف حتى في المشرحة ، لذا هربت من هذا المكان أنها تحيل إلى الجثث ، إذ يرى مصنف لسان العرب الجثة بمعنى القطع وتقطيع ، وهذهِ إشارةً دلالية وإيحائية على أن بغداد أصبحت على شكل جثث هاربة من الأعمال العنف والقتل والذبح ، أو دلالة سيميائية أو شارية أو إشهارية على كثرة أعمال العنف التي جرت في فضاء هذهِ المدينة ، إذ تعتبر لفظة (جثث) على العنف الطائفي والسياسي الذي عانت منهُ هذهِ المدينة بالتحديد .

العنوانات الفرعية (أموات بغداد)

إن مقارنة العنوانات الفرعية في الرواية (أموات بغداد) للروائي جمال حسين علي مع العنوان الرئيس ، وأن العنوانات الفرعية بصفتها خطاباً ، ثم جزءاً من خطاب عام ، وأخيراً

بصفتها حمولات دلالية وسيميائية وإيحائية لعدد من مكونات لسانية وجمالية ومعرفية وتداولية، بحيث لا يمكن الإطاحة بخصوصياتها إلا بناءً على مراعاة تلك المواصفات واستنكاه مكنوناتها في النص الروائي ، والكشف عن الدلالات التي يحمل هذا العنوان الفرعي ، إذ يكون تكملة إلى فحوى العنوان الرئيس ومن خلالهُ نتعرف على هدف الروائي في إعطاء هذهِ التسمية بالذات .

وتتشكل العنوانات الفرعية لرواية (أموات بغداد) في أسبقية وسياقية وحمولات دلالية وإشارية جديدة على مستوى استعارية التركيب ومجازيتهُ في النص الروائي ، إذ نجد مواصفات العنوانات الفرعية لا تخرج عن استراتيجية الروائي العامة في الكتاب بدءاً من العنوان الرئيس وصولاً إلى باقي النصوص الروائية الأخرى .

تعد هذهِ العنوانات الفرعية ملفوظات إخبارية أو إشارية أو سيميائية محرضة تلخص الأحداث القادمة وتقدم عنها فكرةً معقدةً ، بل غدت ملفوظات إشارية وسيميائية تتعلق بالنص الرئيس للرواية ، وهنا تتغير أهمية العنوان الفرعية ، كما تتغير وظائفهُ ، ليس في الرواية التي يَطَّل فيها على القارئ ، ولا من حيث قدرتهُ على إنتاج نصوص ذاتية أو جمعية مختلفة وإنما أيضاً من حيث تكوينهُ البنيوي والشكلي وإيقاعهُ الداخلي والخارجي داخل الملفوظ النصي .

على هذا الشكل فإن الرواية تتشكل من ثمانية فصول مستقلة بذاتها ومترابطة بأكثر من خيط رفيع ، برهن النص إلى ملخصه السيميائي والإشاري ، وذلك عبر وحدة النص الروائي وحضورهُ المهيمن . كما أن كل فصل يحمل عنواناً استعارياً تتكفل الرواية بعد ذلك بالإشارة إلى مغزاه السيميائي والدلالي ، وربطهُ بمجرى النص الروائي ككل لهذهِ الفصول أو العنوانات " تأخذ في انفصالها واتصالها العفويين شكل قصوصات تجعل من الثنائية والتضاد مقوماً أساسياً في مستوى البناء "[٤٠] .

أما طبيعة تشكيل هذهِ العنوانات الفرعية في رواية (أموات بغداد) تقوم على فن المفارقة في الأعم الأغلب التي لها أكثر من حضور في تلك العنوانات الفرعية الداخلية . وتقوم هذهِ المفارقة في العنوانات الفرعية على العناصر الأساسية الموت والذبح والقتل على الهوية في العراق ، هكذا تخرج من دائرة فضاء الإنسان القاتل الذي تمثله قيمة العنوان (أموات بغداد) لندخل فضاء العنوانات الفرعية التي تجمع ما بين النفس الممسوخة ، والملفوظ النصي الملغز

أو الغامض ، إذ تتعالق العنوانات الفرعية فيما بينها وتتفاعل ضمن فضاء المفارقة المفتوح على أكثر من قراءة تأويلية وتفسيرية للنصوص الروائية ، ومن تلك العنوانات الفرعية في رواية (اموات بغداد) لجمال حسين علي كالآتي :-

(١)الشوارع الفياضة بالجثث .
(٢)الظفر بالمصير .
(٣)ضفالة القدرية .
(٤)نقرس الثلاثة .

(١)الشوارع الفياضة بالجثث :

فإذا نظرنا إلى الألفاظ والمعاني التي يتضمنها هذا العنوان الفرعي في هذهِ الرواية (الشوارع الفياضة بالجثث) وإذا نظرنا لهُ لغوياً نجدهُ يتضمن معنى الجور والظلم والعنف المادي المنتشر في شوارع مدينة بغداد ، وهذا العنف والظلم على الإنسان بالقتل والذبح وغيره، وبالتالي (فالشوارع الفياضة بالجثث) يحمل معنى سيميائي وإيحائي يدل على الظلم الذي لحق بالمجتمع العراقي بعد التغير ، سواء أكان ذلك تهديداً أو خطراً ، إذ الإساءة الجسدية أو التسبب بالخوف أو القتل والذبح ، فالمعنى اللغوي يكشف لنا ارتباط هذا العنوان الفرعي بالضعف بالأحداث التي تحدث بها النص حتى وإن لم يقترن بوصفها بدقة ، وأن أكتفى بالدلالة اللفظ المفرد ، وهذهِ دلالة مطابقة لدلالة وإشارةً العنوان الرئيس . وأن العنوان الفرعي بدأ بجملةً أسميةً وهذهِ الجملة الأسمية تّدلُّ على الثبوت والاستقرار في وجود الجثث في شوارع بغداد في كل أزقتها وشوارعها .

عند تناول المستوى المعجمي للعنوان (الشوارع الفياضة بالجثث) ، يرى صاحب لسان العرب في لفظة (شارع) أو (الشوارع) : " الشارعُ : الطريقُ الذي يشرعُ فيهِ الناسُ عامةٌ ، وهو على هذا المعنى ذو شرعٍ من الخلق يشرعون فيهِ "[٤١]، وكذلك يقول في (الشوارع) : " الشوارعُ من النُّجومُ : الدانية من المغيبِ . وَكُلَّ دانٍ من شيءٍ ، فهو شارعُ وقد شرعَ لهُ ذلك ، وكذلك الدارُ الشارعة التي ونتٌ من الطريقِ وقربتْ من الناس ، وهذا كُلُّه راجعُ إلى شيءٍ واحدٍ إلى القربِ من الشيءِ والإشراق عليهِ "[٤٢] .، وجاء في كتاب العين : " ودارٍ شارَعةَ ، ومنزل شارع إذا كان قد شرع على الطريق نأخذُ والجميع : الشوارع "[٤٣].

من خلال هذهِ التحليل المعجمي يدل العنوان الفرعي على حِمولات دلالية وسيميائية وإيحائية وإشارية على أن الشوارع هي الطرق التي يسير فيها الناس ، وهذهِ الطرق مملوءة بالجثث وهذهِ الجثة على اختصار لغوي ومعجمي على وجود حجم المأساة التي حدثت في مدينة بغداد ، من خلال العنف والتمثيل بالقتل والذبح والتفجيرات بالسيارات المفخخة ، كل هذهِ الإشارات السيميائية تحملنا إلى أن العنوان الفرعي هو عبارة عن استنطاق عن النص الروائي ومدى حمولات هذا النص من الدلالات والإشارات والعلامات السيميائية . وإن العنوان الفرعي يحملنا إلى النصوص الروائية الموجودة في داخل النص الرئيس إذ يقول في مقطع : " الجثث كانت تملأ الشوارع لماذا تأخرتم إلى هذا الحد "[٤٤] . وفي مقطع أخر : " الجثث التي تبقى لأسبوعين بدون دفن ليس لها صاحب بالتأكيد "[٤٥] . وفي مقطع اخر : " منذ ثلاثة أسابيع وأنا أدفن الجثث في بغداد ، من هؤلاء الناس البسطاء "[٤٦] .

وتحمل كلمة (الشوارع) حمولات دلالية ورمزية وإيحائية ، لعل أولها اختزال مغزى الرواية والدلالة لموضوع احتواهُ ، إذ يعد العنوان الفرعي (الشوارع الفياضة بالجثث) أول عتبة من عتبات العنوان الفرعي في الرواية الدلالة على العنف الغير المباشر ، وأول ما تقع عليهِ عين القارئ في الصفحة الأولى من العنوان ، وكما هو معروف أن القارئ عند تناولهُ روايةً ما ، وقبل إلقاء نظرة على بعض صفحتها تقوم بتصفح العنوان أو الصفحة الأولى والأخيرة لغلاف العنوان الفرعي .

فالشوارع بدءاً بالعنوان الفرعي أنارت صدمة وفهماً لدى القارئ على مدى الألم والجزع العميق الذي تعيشهُ بغداد جراء هذهِ الأحداث لأعمال العنف في شوارعها وكثرة الجثث ، حتى أن هذهِ الجثث لم تعد تحصى كثرتها في شوارع هذهّ المدينة ، ولهذا عبر الروائي في هذا العنوان الفرعي ليصف لنا عمق المأساة التي كانت تعانيها مدينة بغداد بالتحديد في زمن العنف الطائفي والديني والسياسي كل هذا يشير إلى الحمولات الدلالية والسيميائية والعلاماتية التي يشكلها العنوان في الرواية وخاصةً رواية (أموات بغداد) ، ومنها تفرع هذا العنوان الفرعي (الشوارع الفياضة بالجثث) كل هذا يدعونا إلى معرفة الحمولة الدلالية وإيحائية والإشارية والإخبارية لهذا العنوان ويوجد مخاتلات في داخل النص يعطي معنى سيميائياً إشارياً يبدو سيميائياً والإشاري أن الروائي اخفاء في هذا النص أو العنوان الفرعي مخاتلات وحجب كثيرة

لا يقصدها إلا القارئ السيميائي الحاذق ، والذي يمتلك القراءة السيميائية والتأويلية الواعية والخلاقة وله عدة نقدية في جميع أدواتها النقدية .

٢- العنوان الثاني : الظفر بالمصير

يتحدث هذا العنوان الفرعي عن عالم عراقي عاش في روسيا ، وبعد السقوط عاد إلى العراق لإيجاد حل إلى بلدهِ العراق من خلال دراسة تجارب المصريين والإغريق والعراقيين القدماء الذين داهمت ساستهم فكرة (تحسين العرق) والتوصل إلى صناعة إنسان ذي ملكات أرقى . وتفاوض لسنوات طويلة مع علماء تلك الأزمنة .

الملاحظ في هذا العنوان الفرعي كان هذا العالم الوحيد العارف بالسّفرات الكامنة التي تنتج البروتين الخاص بصناعة العيون والعظام والعصاب والفضلات وشبكة الاتصالات الدقيقة في الجسم ، ويحفظها عن ظهر قلب ما يقرب عن مائة ألف بنسبة منفردة في كل خلية من خلايا الجسم .

غير أن هذا العالم اكتشف منذ اللحظات الأولى للتغير في العراق خللاً آخر في الآلية التي حدث فيها التغيير ، وأن العلاقات والروابط التي يبنى عليها المجتمع تآكلت كالهشيم ، وداهمته فيروسات قادرة على إحداث تغيرات غير متوقعة وكأن السلالة العراقية غير مستهدفة وراثياً فحسب ، بل إن هذا العالم لاحظ أن المفجر البيئي الغريب منذ عودته الأولى في كل شخص هنا يتمنى للآخر السوء وكأن المجتمع أطاحت بهِ حالةً من العنف والجينات المنفلتة من مخبئها بما يعني هذا العالم ، إمكانية حدوث أَيَّ شيءٍ غير متوقع ومؤذٍ في أية لحظة في مجتمع العراقي ، بسبب هذهِ الجينات المتغيرة والتي من خلالها تواجد هذا المخلوق المسمى النسخ في المجتمع العراقي ، لهذا حاول هذا المعالج صنع إنسان بديل عنهُ يدعوان إلى الخير والفضيلة .

ونستنتج هنا من خلال الملخص السابق من الرواية أن عنوان (الظفر بالمصير) هي عبارة عن ألفاظ ومعان وحمولات دلالية محتوية لما يدور في هذا النص ، فيعد العنوان الفرعي بمثابة نقطة غموض لدى القارئ بفك شفراتهِ ، وذلك بالغوص في أغوار النص في هذا الحدث، وفهم ما يدور بهِ وقبل الولوج في المستوى الدلالي لهذا العنوان الفرعي ، وجب التطرق إلى

المستوى المعجمي لفهم دلالته وما أراده الروائي من هذا العنوان الفرعي في الرواية من مغزى دلالي وسيميائي .

للولوج أو البحث عن المستوى المعجمي لألفاظ ومعاني العنوان (الظفر بالمصير) اعتمدنا على معجم لسان العرب فكلمة (الظفر) : " والظَفُر : بالفتح الفوز بالمطلوب . الليثُ : الفوز بما طلبت ، القبحُ على من خاصمتَ ، وقد ظفر بهِ عليه "[٤٧]. وجاء في كتاب العين معنى (الظفر) : " والظفرُ : الفوزُ بما طالبت ، والقبحُ على من خاصمت ، ظفرتُ بفلان ظفراً فأنا ظافرُ ، وظفر اللهُ فلاناً على فلان"[٤٨].

أما اللفظة الأخيرة (المصير) فجاء مستواها المعجمي كالآتي : " المَصِيرُ : الموضعُ الذي تصيرُ إليهِ المياهُ "[٤٩] . وأيضاً في لسان العرب : ((وصرتُ إلى فلانٍ مصيراً ، كقولهِ تعالى : " (وإلى الله المصير) "[٥٠]))[٥١] .

من خلال دراستنا المستوى المعجمي لألفاظ ومعاني هذا العنوان نحاول الانفتاح على الحمولات الدلالية العميقة التي ترمي إليها هذهِ الصيغ انطلاقاً من ربطها بما يفصح عنه الروائي . من هنا يظهر لنا ملامح سيميائية للعنوان من خلال هذا العالم العراقي الذي يريد الظفر بمصير هذا البلد ، لذلك خلق إنسان جديد لا يمتلك جينات الحقد والقتل والذبح من مناطق العراق المختلفة . وهذا المعنى يلاحظ من خلال وجوده في متن النص الروائي الذي ينتمي هذا العالم وتغيير هذهِ الجينات الوراثية التي يمتلك الفرد العراقي واستبدالها بالجينات أخرى وخلق إنسان جديد يمتلك الروح الجديدة التي تُدافع عن كل العراق دون استثناء ، وهذا كان هدف العالم العراقي الذي جاء من روسيا بعد التغيير إلى بلدهِ .

وإن لهذا العنوان حمولتين دلاليتين وهما الظفر بالمستقبل بالإنسان الجديد الذي يبعث الأمل في نفوس العراقيين من خلال عدم وجود جينات سلبية حاملة إلى العنف وإقصاء الآخر.

والحمولة الدلالية الأخرى هي المصير الذي آلت إليهِ الأمور بعد التغيير من القتل والذبح والأقصاء وكل أنواع الفتن في مدينة بغداد خاصة العراق عامةً ، وهذا يتضح بقول الروائي " وفي مشرحة بغداد تحديداً ، جرفتهُ فكرةٍ مقارنةٍ الجينات الطيبة والشريرة وكيفية الانقضاض على الشريرة مهما تلظتها نيرانها وبطريقة تنحيتها بحيث لا يحررها الجيل الحالي المغرق بالسيئات للجيل الذي يليهِ ، وإن كان التعميم أمراً شاقاً ، فإن هذا لم يفرعهُ بقدر ظهور

حالةً فريدةً من نوعها أكتشفها في أناسهُ ؛ أن لهم جينات طيبة وفي الوقت نفسه شريرة ، فكيف سيتعامل معها ! "[٥٢].

وفي مقطع آخر يقول : " وكان الرجل اكتشف ، منذ وقت طويل ، أحد الألغاز البناءة نافخاً الروح في الجنين الشرير ليحولهُ إلى طيب ، ولكن تجربتهُ اشترطت تغير ظروف البيئة"[٥٣] ، وفي مقطع آخر : " لم تثن غربتهِ تلك الأحداث غير المتوقعة والتي رآها ، بل قوتها عن المضي في لفكرة تبناها قبل سنوات في غضون تفكيكهُ شفرات الجينات ، حين ظفر بما لا يقبل الجدل بأحد الحلول الرئيسة في الأنماط باكتشافهُ الجين الكابح "[٥٤].

إذن نستنتج من هذا العنوان الفرعي (الظفر بالمصير) لهُ دلالةً أو قيمةً تاريخية بالمصير الذي ينتظر الأفراد العراقيين ، من خلال هذهِ الحمولات الدلالية والسيميائية التي يحمل هذا العنوان ، إضافة إلى الدلالة الإيحائية التي يخفي هذا العنوان ، ألا وهي النظر إلى المستقبل دون الركون إلى الماضي والعنف الذين واجها العراق بعد عام ٢٠٠٣ ، وخاصة العنف بكل أنواعه وأشكاله .

٣- العنوان الثالث : فضالة القدرية

جاء العنوان جملة أسميةً تنقسم إلى المقطع الأول مبتدأ محذوف ، والخبر (فضالة) لمبتدأ وهو مضاف ، (القدريةُ) مضاف إليهِ ، وعلى هذا الأساس يمكن القول إن هذا العنوان الفرعي أختزل ما أوردهُ المتن الروائي مبنى ومعنى .

أستهل الروائي هذا الحدث الذي بلغ عدد صفحاته ثلاثاً بقولهِ : " عّلم الرجل نفسهُ على عدم الاهتمام بالاقتراحات غير المقبولة التي يسدُ بها البعض وفق العلم ، ولم يعثر على صوتٍ واحدٍ يتلو عليهِ الحقيقة وينعش أبحاثه حول الحياة القادمة والسابقة والقادمة ، ولوقت طويل غالبه النوم وأقلقهُ التناثر الحاد لما سيحدث لهذا المليارات المحتشدة أمام الموت بلا حولٍ ولا نفعٍ "[٥٥].

يصور الروائي في هذا العنوان الأحداث التي جرت في حياة الرجل من العالم وبلده ، وكأنهُ في هذا النص أراد القول " لم أجد أحداً يفهم ما أريد قوله وضعه على الأقل في هذهِ الفترة الزمنية عندما جئت إلى بلدي العراق ، وهذا العالم قائم على الأبحاث العلمية بخلق

مخلوق جديد من كل أطياف الشعب العراقي لكي يرجع تاريخ هذا الإنسان الذي يدافع عن كل الحقوق والقيم الإنسانية " .

وعلى المستوى المعجمي والتركيبي نلاحظ كلمة أو لفظة (فضالة) : " الفضيلة : والدرجةُ الرفيعةُ في الفعل والفاضلة الاسم من ذلك والفضالُ والتفاضلُ : التمادي في المفضل وفضلهُ"[٥٦] . وذكر أيضاً في فضالة : " والفضيلة والفضالةُ : فأفَضَلَ مِنَ الشيء وفي الحديث: فَضّلُ من إزارهُ في النار ، هو ما يُجُّرهُ الإنسانُ من إزارهُ على الأرض على معنى الخيلاء والكبر "[٥٧] ، وجاء في كتاب العين : " الفُضالةُ : ما فَضَل من كل شيءُ "[٥٨].

ولطالما بحث هذا العالم عن الملاذ بالتحنيط عسى أن تعود الروح إلى الجسد الذي تحتفظ بهِ الأحماض والأعشاب ، ولكن الروح كما يقول هذا العالم تبحث عن جسدها الميت الذي يقولب بهِ في سجينة الإله أو يحدث حقول الفردوس .

ويبدو أن الروائي في هذا العنوان (فضالة القدرية) إن الفضيلة أو الفضالة هي الفضل في كل شيء الذي عند الإنسان هو من فعل الإله ، ولكن الإنسان ينسى ذلك عندما يتمكن من أمورهُ الدنيوية ، ومعنى (القدرية) في المستوى المعجمي وخاصةً في لسان العرب هي : " القدرية : قومٌ يجحدونَ للقدر ، مولدة التهذيب : والقدرية قوم يُنسبون إلى التكذيب بما قدرهُ الله من الأشياء "[٥٩] . وجاء في كتاب العين بمعنى القدرية : " قومٌ يُكَذبونَ بالقَدرِ "[٦٠] .

وكأنما أراد الروائي القول الإنسان بطبيعة حاله يؤمن بالفضيلة والقدر وأن الأرواح ذاهب إلى الإله العظيم ولهذا قال في مقطع : " وآثارهُ اكتشاف أن الروح أضعف من الهيدروجين، بل أخف منهُ كثيراً ، لذلك فإن جاذبية الأرض لا تكفي للاحتفاظ بها فتغلت من الأرض بسهولة، لتتجه نحو الفضاء "[٦١] . وفي مقطع آخر يتكلم عن الروح لأن الروح عند العراقيين القدماء ، تكمن في الكبد ومنهم انتقلت عادة الانتقام عند العرب الذين يصرون على التهام كبد إذ يقول : " يُسجل فيهِ الآلهة البابليون مصائر البشر والعالم ، نحن بشكل جيد ، فالروح عند العراقيين القدماء تكمن في الكبد ومنهم انتقلت عادة الانتقام عند العرب الذين يصرون على اتهام كيد أعدائهم ليتأكدوا من عدم عودة روحهم ثانيةً والقضاء عليهم نهائياً "[٦٢] . يمكن للقارئ ملاحظة الحمولات الدلالية والإشارية التي رآها رائجة الصراع النفسي العميق والحاضر بين أبناء الوطن الواحد بعد التغيير ، وهذا يؤدي بنا إلى أن الاقتصاد اللغوي في هذا العنوان

الفرعي يحاكي الدلالات السيميائية التي تعطي بعداً دلالياً وإشارياً للقارئ من خلال قراءة تأويلية وتفسيرية لهذا العنوان من خلال النص أو المتن في هذا الفصل من الرواية .

إن الروائي حاول إغراء وإغواء القارئ من خلال العنوان الفرعي (الفضالة القدرية) وكأنهُ أراد إخفاء الأموات خلف هذا العنوان حتى يساعد القارئ الغوص في أغوار هذا النص دون تخوفٍ وعناءٍ ... وهذا شان الروائي المبدع ، والذي يمتلك أدواتهُ الروائية واللغوية ليستطيع توظيفها في سرد الأحداث الروائية بصورةٍ جيدةٍ تُساعد المتلقي على عدم الملل من قراءة النص، وهذهِ حالة السيميائية أو الإشارة يساعد على الانفتاح في فضاء النص الروائي وتحليلهُ وتأويلهُ سيميائياً .

٤- العنوان الرابع : نعوش الثلاثة

تدور أحداث هذا العنوان الفرعي عن شخصية هذا العالم حول الطموح الذي يحلم إلى تحقيقهُ طوال حياتهِ ، وبهذا العنوان أراد هذا الشخص أن يحول مشروعهُ في صنع هذا الإنسان النسخ الذي يدل على صورة العنف الدائر في المجتمع العراقي ، لذا أراد معالجة المرض الذي أصاب العراق كُلهُ وكل عائلة فينا ونحتاج إلى كل شيء أفض في مجتمعنا إلى دراسة بيئية واستشارة وتأصيل ومعرفة وصحة وطباع وذكاء سلوك وكل شيء يتعلق بالقيم والأخلاق ، حيث قال في مقطع : " لا فائدة النتيجة محتومة طالما أننا ملتزمون بثبات الطبع ولم تشجعهُ على تبادل الأدوار مع القطيع "[٦٣] .

في هذا العنوان الفرعي يكشف العالم فيهِ أن الفتى مستعد إلى قتل أختهُ في أية لحظة ولو يراها تبتسم لهواء الجار لذبحها فوراً ، إذ يقول في مقطع آخر : " قال الرجل : هذا الفتى المحصن طيبة قد يذبح أختهُ في أية لحظةً ويعلق كفنها على جدار بيتهم لو يراها تبتسم لهواء الجار ، كما كان يفعل أجدادهُ الشرفاء "[٦٤] .

يستنتج من خلال هذا المقطع من تحليل الرواية أن هذا العنوان الفرعي هو تكملة للعنوان الرئيس وأن الخطيئة التي حلت بالعراق بعد التغيير هي لما فعلهُ أجدادهُ في القديم . وبعد الولوج إلى أغوار هذا العنوان الفرعي وفهم دلالته الإيحائية ، تظهر هذهِ الدلالات التي يرمي إليهِ هذا العنوان الموسوم (نقوش ثلاثة) ، حيث يدل ملفوظ هذا العنوان على عتبات العتبات العنف في المجتمع العراقي منذ القدم وإلى الآن .

وإن دراسة المستوى المعجمي لفظة (نقوش) في لسان العرب : " النقشُ والنقاشُ ، نقشهُ ينقشهُ نقشاً وأنقشهُ ، نقشهُ ، فهو منقوش منقشهً نقشاً والنقاش صانهُ "[٦٥] . وفي كتاب العين معنى نقوش : " النقاشة : حرفةُ النقاش ، تقول : نقشَ ينقشُ نقشاً "[٦٦].

ويقول الروائي في مقطع : " أن يقتل الأب أبنهُ ليستلم وسام الدولة الأول ، ويقتل الأخ أخاهُ ليحصل على الأنواط والأموال "[٦٧] . في هذا المقطع الروائي تحظى الدلالة الإيحائية والتي تدل على أن العنف المادي ، والمعنوي حاضر في نفسية الفرد العراقي ومستعد القتل وكل أنواع العنف حاضره في ذاته.

العنوانات الفرعية في رواية (فرانكشتاين في بغداد)

العنوان الفرعي إذن ذو حمولات دلالية وإشارية وإيحائية وعلاماتية شديدة التنوع والثراء السيميائي ، مثلهُ مثل النص أو المتن ، بل هو نص موازٍ . كما هو عند جيرار جنيت إذ يقول في هذا الصدد : " يعد العنوان من بين أهم عناصر المناص (النص الموازي) "[٦٨] ، وإذا كان النص نظاماً سيميائياً ودلالياً وليس معاني مبلغة ، فإن العنوان الفرعي كذلك نظام إشاري ودلالي رامز إلى البنية العميق في النص ومستواهُ العميق مثلهُ مثل النص تماماً .

وإذا كان العنوان الفرعي على المستوى السطحي يعمل على الحفاظ على اهتمام القارئ أو المتلقي ، عن طريق تأمين كمية من الإشهارية ، فإن نوعية العلامة ، وجنسية العمل الروائي سوف يعملان على تفكيك الرموز الإشارية والدلالية هذهِ ، وتحويلها إلى عناصر في التفاعلات النصية ، أو في تعالقات نصية تخترق المستوى السطحي ، لتبني نصية العنوان الفرعي في العمق ، وأن العنوان الفرعي بما هو إشارةً إشهارية سيميائية تأسيسية ، قد يدفعك إلى أن تعيد قراءة وتأويل وتفسير النص ، أن كان مألوفاً لدينك بل هو جزء من ثقافتك الاجتماعية ، ولكنه في نفس الوقت يغريك بإعادة قراءتهُ لأنهُ يفجر فيك طاقات جديدة وإشارات سيميائية رامزة للنص ، وكأن هذا العنوان يبدأ فعل القراءة ومن ثم فعل التفسير وتأويل للنص الروائي .

والعنوان الفرعي مثلهُ مثل العنوان الرئيس كونهُ يشكل حمولةً دلالية ، فهو قبل ذلك علاقة سيميائية وعلاماتية أو إيحائية أو شارة تواصلية لهُ وجود مادي ، والعنوان هو أول لقاء مادي محسوس يتم بين المخِاطبِ والمخَاطبِ (القاص أو الروائي) والقارئ أو المتلقي أو

مستقبل النص ، ومن هنا يغدو العنوان الفرعي علامةً إيحائية مختزلة ذات بعد إشهاري إشاري سيميائي ، وهو بما هو علامة أو شارة سيميائية ، يؤسس لفضاء نص واسعٍ وكبيرٍ وهذا ما قالهُ دكتور بسام قطوس : " قد يفجر ما كان هاجعاً أو ساكناً وفي وعي المتلقي أو لا وعيه من حمولة ثقافية أو فكرية يبدأ المتلقي معها فوراً عملية (التأويل)"[٦٩].

وسيميائية العنوان الفرعي تنبع من أنهُ يجسد أعلى اقتصاداً لغوياً ودلالياً ، لكي يعطي أعلى فعالية تلقٍ ممكنة وفعالة ، مما يدفع إلى استثمار الإشارات التأويلية ، كما يشكل العنوان الفرعي اول أتصال نوعي بين الروائي والمتلقي ومن هنا فإن على القارئ أن يقرأ العنوان الفرعي على مستويين ، مستوى يُنظر إلى العنوان بوصفه بنية مستقلةً في حمولات الدلالية الخاصة . مستوى تتخطى فيهِ الحمولات الدلالية بهذهِ البنية حدودها الإشارية ، ومن العنوانات الفرعية المراد قراءتها في المتن في رواية (فرانكشتاين في بغداد) كما يلي :-

(١) الشِسْمه :
(٢) تحقيق :
(٣) الانفجار :
(٤) المجرم :

(١)العنوان الأول : الشِسْمه (المسخُ)

وظف الروائي هذا العنوان الفرعي في صيغة جملة اسمية ، وهو عنوان قصير في تركيب من جملة واحدةً . (الشِسْمه) خبر لمبتدأ محذوف تقديرهُ (هذا) ، وعلى هذا الأساس فهي جملةً أسميةً اخبارية ذلك أن (هذا) أراد أن يخبر (الشِسْمه) على أنها مدينة بغداد و(الشِسْمه) شخصية ثابته بالرواية تتصف بالقتل والذبح ، وذلك لتحقيق العدالة والمساواة لمقتولين جراء الأعمال الإرهابية والطائفية التي جرت في بغداد . كما أن الشِسْمه أو (المسخُ) في المقطع السردي هو بطل هذهِ الرواية والذي لم يقتل إلى نهاية العمل الروائي ، وهذا يدلَّ على أن القتل والذبح مستمر في بلد مثل العراق ، إذ يقول في مقطع : " المسخُ مصنوعً من بقايا أجساد لضحايا ، مضافاً إليها روح ضحية ، وأسم الضحية أخرى ، أنهُ خلاصة ضحايا يطلبون الثأر لموتهم حتى يرتاحوا ، وهو مخلوق للانتقام والثأر لهم "[٧٠]. وفي مقطع سردي آخر : "سأقتص ، بعون الله والسماء ، من كل المجرمين . سأنجز العدالة على الأرض أخيراً،

ولن يكون هناك من حاجةٍ لانتظار محض ومؤلم لعدالة تأتي لأحقاً ، في السماء أو بعد الموت" [٧١].

ما يلفت الانتباه عند قراءتنا للنص الروائي أن الكاتب ذكر (الشِسْمه) عدة مرات في النص ، كما هو ظاهر في المقاطع أن (الشِسْمه) هدفه القصاص من قتلة قاتلي الأبرياء ، وذلك يصنف بوضوح أمام عنوان النص وهو الغاية والقصد ، وهذا ما سنقف عليهِ عند مقارنتنا للعنوان دلالياً ، نرى أن العنوان في مضمونه تحدث عن (المَسخُ) ماذا أراد في دوره في النص الروائي ، حيث أراد المسخ تحقيق العدالة وأخذ الثأر للناس الذين راحوا ضحية الانفجارات بالسيارات المفخخة .

وللبحث عن المستوى المعجمي للفظة العنوان (الشِسْمه) أعتمد على معجم لسان العرب، فكلمة (الشِسْمه) أو (المسخُ) : " المسخُ : تحويلُ صورة إلى صورة أقبح منها، وفي التهذيب : تحويلُ خلقٍ إلى صورة أُخرى ، مسخهُ الله قرداً يمسخهُ وهو مسخُ ويمسخُ ، وكذلك اَلمشوهُ الخلقِ "[٧٢]، وكذلك في كتاب العين : " المسخُ : تحويلُ خلقٍ عن صورتهِ ، وكذلك المَشَوَّهُ الخلق ، والمسخُ من الناس : الذي لا ملامح لهُ "[٧٣].

أما كلمة (مسخُ) فجاء في مستواها المعجمي : هو تحويل صُورةٍ إلى صُورةٍ أو تحويل خلق إلى صُورةٍ أو خلقٍ آخر ، وكذلك المشوه الخلق والصورةِ ، أو هو الإنسان الذي لا ملمح لهُ ولا مظهر جميل ، وفي هذا دلالة على أن الفرد العراقي بعد عام ٢٠٠٣ أصبح متحولاً من صورةٍ إلى صورة أو من خلق إلى صورةٍ أو خلق آخر ، وأيضاً أصبح مشوهً في القيم التي عليها في ذاته .

إن دراستنا للمستوى المعجمي للفظة هذا العنوان نحاول الانفتاح على الدلالات والإشارات والعلامات السيميائية الحقيقية التي ترمي إليها هذهِ الكلمة انطلاقاً من ربطها بما يفصح عنه النص والتشابه الكبير الموجود في الفرد العراقي نفسه بعد التغيير .

ومن هنا تتبدى لنا ملامح العنوان (الشِسْمه) هو الرجل الذي لا اسم له الذي صنعه بطل الرواية (هادي العتاگ) من بقايا الضحايا لتشكيل هذا المخلوق الخارق ، واستعارة روح أحد ضحايا الصنف الجسدي ، فضلاً عن استعارة أسم ضحية أُخرى ، يدل على غياب تسمية واضحة (للشِسْمه أو المسخُ) ، أَيَّ غياب هوية واضحة وصريحة لهُ في أحداث الرواية ، إذ

يقول في مقطع آخر: " أن عملية الترميم الأخيرة قد استخدمت فيها لحوم قادمة من جسد مجرم، لقد استعملوا ، دون أن يعرفوا ربما ، إجراء من جسد أحد الإرهابين ، لذا أبدو في مزاج غير حسن ، وأشعر بشيءٍ من التشويش والارتباك . بقيت أتابع الشوارع والأزقة وأسطح البنايات حتى شعرت بأن الأشياء بدأت تغيم أمام ناظري ، تغطي بصري بجدار حليبي ساطع الضوء، انزلت المرقاب وبدأت أفرُك عينّي "[٧٤] .

إذن نستنتج من هذا العنوان الفرعي (الشِسْمه) إنهُ يحمل حمولات دلالية وإشارية واقتصاداً لغوياً وسيميائياً واسعاً، والدلالة في ضياع العدالة في مدينة بغداد والاقتصار على أخذ القصاص للضحايا إلا من هذا المخلوق المسخُ الذي لا أسم لهُ ، يدلَّ أن فضاء مدينة بغداد غاب فيها الاستقرار والأمن إلا من هذا المخلوق تستمد بغداد عدالتها .

١- العنوان الثاني : تحقيق

إن العنوان الفرعي (تحقيق) يدلَّ ما يحتويه المتن من (تحقيق) الذي أو كلَّ إلى العميد سرور مسؤول التحقيق في قضايا القتل والذبح ، التي تعرض لها بعض الناس من قبل (المسخُ)، إذن العنوان لهُ تعالق مع النص ، هنا التعالق يدل على ان العنوان الفرعي يحمل حمولات دلالية وإشارية مترابطة مع النص الروائي ، حيث كان العميد سرور يحاول التحقيق مع بطل الرواية (هادي العتاگ) ، لأنهُ يعتقد أن العتاگ لهُ علاقة قوية في (المسخُ) ، إذ يقول في مقطع : " العميد سرور في الحقيقة لا يلاحق جرائم غريبة ولاهم يحزنون ... إنهُ موظف من قبل سلطة الائتلاف الأمريكية المؤقتة لقيادة فريق الاغتيالات"[٧٥]. وقال في مقطع آخر : " العميد سرور ليس صديقاً بالمرّة ، أنهُ يميل للسلطة "[٧٦]. والعنوان الفرعي من الناحية التركيبية يمثل جملةً أسميةً مبتدأ محذوف ولفظة (تحقيق) خبر لمبتدأ المحذوف ، وهذهِ الجملة الأسمية تدلَّ على الثبوت والاستقرار حالة التحقيق في أفعال (المسخُ) في المجتمع العراقي كافةً وبغداد خاصةً .

أما على المستوى المعجمي للفظة العنوان (تحقيق) في لسان العرب : " حققتُ الأمرَ وأحققتهُ إذا كُنتَ على يقين منهُ "[٧٧] . في معجم الوسيط معنى (تحقيق) : " (حقق) الأمرَ : أثبتهُ وصدَّقهُ ، يُقال حقق الظنَّ ، وحقق القولَ والقضيةَ ، والشيءَ والأمرَ : أحكمهُ "[٧٨] .

وجاء في القاموس المحيط معنى حقق أو تحقيق : " وحققهُ تحقيقاً : صَدَّقَهُ . المحققَ من الكلام الرصين ومن الثبات "[٧٩].

أما كلمة (تحقيق) في مستواها المعجمي كالآتي : وهي حققتُ الأمرَ إذا صرتَ على يقينٍ منهُ ، وكذلك أثبتت والتصديق وأيضاً التحقيق هو الصدق والثبات على الحقيقة .

قال في مقطع : " صاح العميد على الشاب العضلي الذي يقدم بخدمتهُ ، وطلبَ منهُ نسخ ما في المسجلة ، فغاب لعشر دقائق ثم عاد بالمسجلة وسلمها للعميد "[٨٠] . وفي مقطع آخر : " معقول العميد سرور بهذهِ البشاعة "[٨١] .

لهذا العنوان الفرعي حمولات دلالية ، هو أن التحقيق الذي كان يجري في زمن الطائفية، وخاصةً في فضاء مدينة بغداد . كان عبارةً عن شكل صوري لا يُسمن ولا يغني عن شيئ ، وإنما التحقيق الذي يجريه العميد سرور لصالح الاحتلال الأمريكي وليس لتحقيق الحق لهؤلاء الضحايا الذي يسقطون من قبل المجرمين وعلى رأسهم المسمى (المسخُ) .

نستنتج من هذا العنوان الفرعي (تحقيق) لهُ حمولات دلالية توحي أن التحقيق الذي كان يجري في زمن العميد سرور ، والجهة التي كان ينتمي لها ، ماهي إلا صورةً صغيرةً أو مُصغرةٍ من فضاء الأجهزة التي كانت معنية في مثل هذا التحقيق ، لأن كل التحقيقات التي جرت في زمن القتل والذبح والانفجارات بالسيارات المفخخة عبارةً عن شكل صوري ولا يَمّتُ بالحقيقةِ بشيءٍ ، وأكبر دليل هو عدم موت المسمى (المسخُ) أو (الشِسْمه) في نهاية الرواية ، إذن حالة القتل والذبح لا ينتهي في العراق .

٣- العنوان الثالث : الانفجار

جاء العنوان الفرعي جملةً أسميةً (الانفجار) خبر لمبتدأ محذوف تقديرهُ (هذا) ، وهذا مبتدأ محذوف للإنفجار ، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن هذا العنوان الفرعي اختزل ما أوردهُ المتن للقارئ من الانفجارات بالسيارات المفخخة التي كانت تنفجر في مدينة بغداد .

أستهل الروائي هذا الفصل الذي بلغ عدداً من الصفحات بقولهِ : " في الخامسة والنصف فجراً ، وأثناء ما كان هادي العتاگ يغرق في نومٍ عميقٍ تحت مروحة أم دانيال المطفأة ،

وأستغرق شبح الشِسْمه أو الذي لا أسمَ لهُ في النوم مع القط نابو على الأرضية الوسخة في صالة بيت أم دانيال "[٨٢].

يصور الروائي هذا العنوان الفرعي الأحداث التي جرت في مدينة بغداد من (هادي العتاگ) و(الشِسْمه) أو (أم دانيال) يمثل في هذا النص (المسخُ) أو (الشِسْمه) وهو الرجل الذي صنعه هادي العتاگ من بقايا أجساد الموتى أثر الانفجارات بالسيارات المفخخة ، وهذا الشِسْمه او لا أسمَ لهُ كان قوياً شجاعاً ، حتى أن يوماً اعتقدت أم دانيال التي فقدت أبنها في الحرب العراقية الإيرانية ، أن المسخُ هو أبنها دانيال أو الذي تسميهُ دنيا .

كان المسخُ ملتزماً في أن يثأر إلى ضحايا التفجيرات والانفجارات التي طالت الناس في مدينة بغداد ولهذا كان سلاحهُ هو القتل والذبح من أجل أخذ الثأر لهؤلاء القتلى في هذهِ المدينة. وأن هذا المسخُ لم يتوقف عن القتل والذبح إلى نهاية الرواية ، حتى أن الروائي حال إلى نهاية الرواية عدم موت هذا المسخُ محاولةً منهُ القول إن الموت والقتل في بغداد ، أصبحَ شبحاً يُطاردَ كل فردٍ أو إنسانٍ في هذهِ الفترة القاسية والصعبة التي مرت بها المدينة .

يظهر لنا من خلال هذا التحليل السيميائي أن هذا الحدث هو تكملةً للفصول الأخرى ، وأن الخطيئةَ التي حلت ببغداد هي تكفير لما فعله الأجداد ، والتي تتضح في هذا المقطع : " سرعة عصف الانفجار الذي حدث لسيارة الأوبل البيضاء ، والتي كانت ملغمة أيضاً ، بالإضافةِ إلى الحزام الناسف للانتحاري ، وكان هذا هو أسوأ ما حصل للمنطقة على الإطلاق "[٨٣].

وبعد الولوج إلى أغوار هذا العنوان الفرعي وفهم دلالاتهُ ومعانيه ، تظهر حمولاتهُ الدلالية التي يرمي إليهِ هذا العنوان (الانفجار) تدلَّ إشارات هذا العنوان كثرة الهموم والأحزان من خلال عدد الضحايا التي خلفتها الانفجارات في بغداد وحدها ، الآلاف الضحايا والقتلة . وجاء في مقطع آخر : "رجَ الانفجار المنطقةَ كُلها ، ويتحدث بعض الصحفيين فيما بعد ، من خلال تغطياتهم الخيرية لهذا الحادث المروّع عن الصدوع التي حصلت في نصبِ الحرية ، بسبب الانفجار وإطلاقهم للتحذيرات المنذرة من سقوطه الوشيك "[٨٤].

يبدو متن هذا الفصل الذي يحيل على القتل والذبح والانفجار والإحساس بالخوف والإرهاب ، واكتشاف الحقيقة في مدينة بغداد من خلال متن النص الذي يؤسس إلى ما جاء في العنوان الفرعي من الانفجارات بالسيارات المفخخة .

وإن المَسخ سيعيش في حالة تخفي وعدم معرفة من قبل المحقق عميد سرور إلا أنه في نهاية الرواية ، وكذلك الشكوك تحوم حولَ هادي العتاگ من قبل العميد ومديريه حول الأحداث من القتل والنفجارات وغيرها . الفرعي عميد سرور يعنقد أن المَسخُ هو هادي العتاگ، لهذا قام في تعذيبه بصورة شدة وقاسية .

إذن نستنتج في آخر هذا العنوان أن المَسخ ليس لديَ وجه ثابت وهذا الوجه الذي يمتلكه الذي لا أسم له يحتاج إلى وقت أطول من اللحظات الختامية ، لكي يحدد من هو أو من هو صاحب هذا الوجه . وهذهِ صورة المأساة التي حلت في مدينة بغداد أثر الانفجارات والقتل والذبح وكل أنواع الإرهاب ، وبالتالي عدم تحديد صورة إلى هذا المَسخ يدل على أن العنف في نفس الفرد العراقي لا يعرف من صور أو شكل ، وإنما هو سلوك موجود في داخل نفسه .

٤- العنوان الرابع : المجرم

نلاحظ من الوهلةَ الأولى أن العنوان الفرعي (المجرم) أنهُ جملة أسمية تبدأ بالمبتدأ المحذوف ، والذي تقديرهُ (هو المجرم) ، والمجرم خبر لمبتدأ محذوف . كما يتضح لنا من خلال مضمون هذا العنوان الموسوم (المجرم) يوحي للدلالة مكثفة ومختزلة للنص ، ولكنهُ يظل غامضاً ومبهماً عند القارئ ، غير أن هذا الغموض والإبهام لم يبق طويلاً وسوف يزول بمجرد الاطلاع على أغوار هذا النص الروائي ، والذي يفهم من خلال المضمون ، أنهُ يقصد من خلال هذا العنوان الفرعي أدوار هذا المجرم (المسخُ) التي مارسها في هذهِ الرواية . كما يتضح في هذا العنوان (المجرم) حالة القتل والذبح وكل أنواع العنف التي مارست في بغداد .

من هنا نستنتج أن هذا العنوان الفرعي (المجرم) يميل إلى الأجرام والأدوار التي مارسها هذا الذي لا أسم لهُ من القتل والتعذيب والذبح ، من أجل تحقيق العدالةَ في البداية ولكنَ في النهاية أصبح مجرماً متمرساً في الأعمال القتل بكل انواعهُ .

" هذا المُجرم كان مسؤولاً عن عمليات قتل مروّعة جرت على مدى العام الماضي داخل بغداد ، أثارت الرعبَ والهلعَ في نفوس الناس ، الأمر الذي هدّد العمليةَ السياسيةَ كلها بالانهيار، عرضوا صورةً كبيرةً من خلال عارضة للشراعُ على شاشةً كبيرةً ، ونطقوا أسمهُ ، إنهُ المجرم هادي صمّاني عبدروس ، من سكنة حي البتاوين في بغداد والملفِ بـ(هادي العتاگ) "[٨٥] . وفي مقطع آخر : " كان المتهم قد اعترف بكل الجرائم المنسوبة إليهِ ، ومنها قيادته لعصابة قتل وتقطيع أشلاء الضحايا وتوزيعها على الأزقة في أحياء بغداد من أجل إشاعةَ الرعب والخوف "[٨٦] .

إن دلالةَ هذا العنوان تظهر من خلال المتن الذي يتحدث عن الأدوار التي قامَ بها هذا المجرم من عمليات القتل والذبح . أما كلمة (المجرم) فجاء في مستواها المعجمي في العنوان هو في لسان العرب: " المجرمُ : مصدرُ الجارم الذي يجرمُ نفسهُ وقومهُ شراً ، وفلانٌ لهُ جريمتهُ إلى أين جَرَمَ والجارمُ : الجاني . والمجرمُ : المذنبُ "[٨٧]. وجاء في كتاب العين : " المَجرمُ : الذنّبُ ، وفِضلهُ الإجرام ، والمجرمُ : المذنب ، والجارَمُ : الجاني "[٨٨] .

أما كلمة (مجرم) في مستواها المعجمي كالآتي : الإجرام والذنب والجاني والجارم والفاعل والإجرام ، من خلال دراستنا المستوى المعجمي للفظة (المجرم) في هذا العنوان نحاول الانفتاح على الحمولات الدلالية وإشارات والعلامات السيميائية العميقة التي يرمي إليها هذا الاسم (المجرم) . من هنا تظهر لنا ملامح العنوان (المجرم) هو رجل لا أسمَ لهُ بل هو مسخٌ يحاول الانتقام للآخرين الذين لا يمتلكون القوةَ والقدرةَ على الثأرَ .

الخاتمة

١- إن العنوان الفرعي إبداع أدبي وفني يتشكل من مجموعة من الكلمات ، تحمل دلالات مكثفة ، لها القدرة على لفت انتباه القارئ أو المتلقي واستفزازه وإثارة ذهنه وشعوره ، وذلك من خلال جذبه لقراءة هذه العنوانات بوجه الخصوص والرواية بوجه العموم ، والولوج في دلالاتها ، والغوص في أغوارها ، وفك شفراتها وإشارتها ورموزها ؛لأن العنوان الفرعي لا يبرح بمكوناته وأسراره لقارئ من أول وهلة وإلا بعد البحث والتنقيب والتسلح بجملة من الثقافات الاجتماعية .

٢- من خلال دراستنا لعناوين الفرعية لبعض الروايات العراقية (مشرحة بغداد) برهان شاري و (أموات بغداد) جمال حسين علي و (فرانكنشتاين في بغداد) أحمد سعداوي ، والتي تناولت موضوع العنف الأسود في العراق ، تبين لنا أن العنوانات الفرعية مأخوذة من مرجعيات ثقافية متعددة وتراثية ، تاريخية وواقعية للواقع العراقي بعد عام ٢٠٠٣ .

٣- تقدر هذه العنوانات الفرعية الإبداعية ضمن واقعية المجتمع العراقي، ويتجلى ذلك من خلال تسليط الضوء على واقع المجتمع العراقي في ظل العنف بعد علم ٢٠٠٣، حيث إنه تأثر بهذا الواقع وعبر عنه في هذه العنوانات ، لهذا فإن الكاتب إبن بيئته .

٤- طغيان العنف اللغوي أو اللفظي الذي تبين لنا أثناء تحليلنا السيميائي الدلائلي لعناوين الروايات المدروسة، وقد حقق هذا خاصة. في دلالات ألفاظ العنف التي وظفها توظيفا يشير للموضوع العنف في هذه الروايات .

٥- تبين لنا من طريقة تشكيل العنوانات الفرعية بشكل خاص الإشارة إلى العنف بكل أشكاله وأنواعه وكل هذا يتجسد في النصوص الروائية بشكل عام .

٦- اهتمام الروائي العراقي بالمكان ووجوده بقوة في عناوين رواياته متمثلا في مدينة بغداد، ويتجسد ذلك في (مشرحة بغداد) و(اموات بغداد) و (فرانكنشتاين في بغداد) ، إذ يتحول ربط العنوان الفرعي بمحتوى علاقة حميمية من خلال ربط هذا العنوان بمحتوى النصوص الروائي وعلاقته مع العنوان الرئيس لهذا يكون مفسرا للعنوان الرئيس .

٧- من سمات صناعة العنوانات الفرعية لدى الروائي العراقي أنها تتشابه مع العنوانات الرئيسة ، ويتجلى ذلك في كل الروايات كما الشأن في الروايات قيد الدراسة (مشرحة بغداد) و(أموات بغداد) و(فرانكنشتاين في بغداد) .

٨- جاءت العنوانات الروائية الفرعية التي تمت دراستها جملا اسمية مسندة إلى مبتدأ محذوف (المسخ ، المجرم ، جثث ، تحقيق) ؛ما يوحي بقوة الدلالة الاسمية وثباتها على العنف .

٩- لاحظنا الروائي العراقي لا يكفي في صناعة العنوانات الفرعية بالصياغة اللغوية فقط ، بل يتعداه إلى صياغة رمزية وإشارية وأيقونة بتوظيف بعض النصوص لدعم العنوان الفرعي وأعطاه دلالات وإشارات وإيحاءات تاؤيلية وسيميائية .

الهوامش

(١) إبن منظور ، لسان العرب ، دار المعرفة ، (د.ط) ، (د.ت) ، ج٣ ، مادة (وسم) ، ٢١٥٧ – ٢١٥٨ – ٢١٥٩ .

(٢) مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط ، ط٤ ،مصر ، مكتبة الشيوخ الدولية ، ٢٠٠٤، مادة (و. س. م): ٤٦٥ – ٤٦٦ .

(٣) سورة الفتح ، الآية : (٢٩) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : (٢٧٣) .

(٥) إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، ط١ ، دار بن حزم ، للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٠ ، ١٧٤١ .

(٦) التحليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين – تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، تصحيح الأستاذ أسعد الطيب ، مؤسسة الميلاد ، إيران ، قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ج٣ : ١٩٥٢ .

(٧) فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، ط١ ، ٢٠١٠ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، الجزائر : ١٦ .

(٨) دي سوسير ، علم اللغة العام ، ترجمة : د. يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي : د. مالك يوسف المطلبي ، (د.ط) ، ١٩٩٥ ، دار آفاق عربية ، العراق ، بغداد : ٣٤ .

(٩) سعيد بنكرار ، السيميائيات . مفاهيمها وتطبيقاتها ، ط٣ ، ٢٠١٢ ، مكتبة الأدب المغربي ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا – اللاذقية : ٨٧ – ٨٨ .

(١٠) د. نبيل راغب ، موسوعة النظريات الأدبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع ، لونجمان ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، القاهرة – مصر : ٣٦٥ .

(١١) فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، ط١ ، ٢٠١٠ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، الجزائر : ٨ .

(١٢) د. حنون مبارك ، دروس في السيميائيات ، توصيل المعرفة ، ط١ ، ١٩٨٧ : ٦٩ – ٧٠ .

(١٣) د. صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقر الأدبي ، دار الشروق ، ط١ ، ١٩٩٨ ، القاهرة ، مصر: ٢٩٧ .

(١٤) المصدر نفسه : ٢٩٧ .

(١٥) لسان العرب : ج١٤٥/٣ ، مادة (ذبح) .

(١٦) لسان العرب : ج٢٠٥٢/٣ ، مادة (سكن) .

(١٧) قاموس – إنكليزي – إنكليزي – عربي ، (Oxfard word Power) ، University Press / ٥٩ .

(١٨) ابن منظور ، معجم لسان العرب : ج١٠٠٨/٢ ، مادة (حمم) .

(١٩) التحليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين – تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، تصحيح الأستاذ أسعد الطيب ، مؤسسة الميلاد ، إيران ، قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ج١ / ٤٣٠ ، مادة (حمم) .

(٢٠) برهان شاوي ، رواية مشرحة بغداد ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت لبنان ، ط٥ ، ٢٠٢١: ١٠ .

(٢١) مشرحة بغداد : ١٠ .

(٢٢) مشرحة بغداد : ١٥ – ١٦ .

(٢٣) المصدر نفسه : ١٦ .

(٢٤) ابن منظور : معجم لسان العرب ، دار المعارف ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، (د. ط) ، (د. ت) : ج٣٨/١ ، مادة (آخر) .

(٢٥) سورة الحديد ، الآية : (٣) .

(٢٦) كتاب العين : ج٧٠/١ ، مادة (آخر) .

(٢٧) مشرحة بغداد : ٢١ .

(٢٨) المصدر نفسه : ٢٣ .

(٢٩) كتاب العين : ج١٠٤/١ ، مادة (أمل) .

(٣٠) لسان العرب : ج١٣٢/١ ، مادة (أمل) .

(٣١) مشرحة بغداد : ٢٨ .

(٣٢) مشرحة بغداد : ٢٩ .

(٣٣) المصدر نفسه : ٣١ .

(٣٤) لسان العرب : ج٥٤٣/١ ، مادة (جثث) .

(٣٥) المصدر نفسه : ج١/٥٤٣ ، مادة (جثة) أو (جثث) .
(٣٦) كتاب العين : ج١/٢٦٢ ، مادة (جث) .
(٣٧) مشرحة بغداد : ١٣٠ .
(٣٨) مشرحة بغداد : ١٣٢ .
(٣٩) مشرحة بغداد : ١٣٤ .
(٤٠) الرواية المغاربية ، تحولات اللغة والخطاب ، عبد الحميد عفار ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، شركم للنشر والتوزيع للمدارس ، الدار البيضاء ، المغرب : ١٢٥ .
(٤١) ابن منظور ، معجم لسان العرب ، دار المعارف ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، (د. ط) ، (د. ت) : ج٤/٢٢٣٩ ، مادة (شرع) .
(٤٢) المصدر نفسه : ج٤/٢٢٣٩ ، مادة (شرع) .
(٤٣) ابن منظور : معجم لسان العرب ، دار المعارف ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، (د. ط) ، (د. ت) : ج٣/٩٠٧ ، مادة (شرع) .
(٤٤) جمال حسين علي ، رواية أموات بغداد ، مكتبة ومنشورات بصرياثا ، العراق ، البصرة ، ط١ ، ٢٠٢٢: ٥٠ .
(٤٥) أموات بغداد : ٥٠ .
(٤٦)المصدر نفسه : ٥١ .
(٤٧) لسان العرب : ج٤/٢٧٥٠ ، مادة (ظفر) .
(٤٨)التحليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين – تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، تصحيح الأستاذ أسعد الطيب، مؤسسة الميلاد، إيران، قم ،ط١ ، ١٤١٤هـ : ج٢/١١٦٣ ، مادة (ظفر) .
(٤٩) لسان العرب : ج٤/٢٥٣٥ ، مادة (صير) .
(٥٠) سورة النور ، الآية : (٤٢) .
(٥١) لسان العرب : ج٤/٢٠٣٥ ، مادة (صير) .
(٥٢) أموات بغداد : ٣٥٦ .
(٥٣) المصدر نفسه : ٣٥٧ .
(٥٤) المصدر نفسه : ٣٥٧ .
(٥٥) أموات بغداد : ٣٦٧ .
(٥٦) ابن منظور : معجم لسان العرب : ج٥/٣٤٢ ، مادة (فضل) .
(٥٧) المصدر نفسه : ج٥/٣٤٢٩ ، مادة (فضل) .
(٥٨) كتاب العين : ج٣/١٤٠٢ ، مادة (فضل) .
(٥٩) لسان العرب : ج٥/٣٥٤٦ ، مادة (قدر) .
(٦٠) كتاب العين : ج٣/١٤٤٧ ، مادة (قدر) .

(٦١) أموات بغداد : ٣٦٩

(٦٢) المصدر نفسه : ٣٧١ .

(٦٣) أموات بغداد : ٣٨٩ .

(٦٤) أموات بغداد : ٣٩٠ .

(٦٥)ابن منظور : معجم لسان العرب : ج٦/٤٥٢٢ ، مادة (نقش) .

(٦٦) كتاب العين : ج٣/١٨٣٠ ، مادة (نقش) .

(٦٧) أموات بغداد : ٣٩٠ .

(٦٨) عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناص)، ترجمة عبد الحق بلعابد ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٨: ٦٥ .

(٦٩) دكتور بسام موسى قطوس، سيميائية العنوان ، مكتبة كتانة، اربد، الأردن ، ط١، ٢٠٠١: ٣٧ .

(٧٠) أحمد سعداوي ، رواية فرانكنشتاين في بغداد ، ط٤ ، ٢٠١٤: ١٤٤ .

(٧١) رواية فرانكشتاين في بغداد : ١٥٧ .

(٧٢) لسان العرب : ج٦/٤١٩٩ ، مادة (مسخ) .

(٧٣) كتاب العين : ج٣/١٦٩٩ ، مادة (مسخ) .

(٧٤) فرانكشتاين في بغداد : ١٧٢ – ١٧٣ .

(٧٥) فرانكشتاين في بغداد : ١٩٥ .

(٧٦) المصدر نفسه : ١٨٤ .

(٧٧) لسان العرب : ج٢/٩٤٠ ، مادة (حقق) .

(٧٨) معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مصر ، القاهرة ، مكتبة الشيوخ الدولية ، ط٤ ، ٢٠٠٤: ١٨٨ ، مادة (حقق) .

(٧٩) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، راجعه انيس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد ، دار الحديث، القاهرة ، مصر ، (د. ط) ، ٢٠٠٨: ٣٨٦ ، مادة (حقق) .

(٨٠) فرانكشتاين في بغداد : ١٧٨ .

(٨١)المصدر نفسه : ١٩٥ .

(٨٢) فرانكشتاين في بغداد : ٣٠٠ .

(٨٣) فرانكشتاين في بغداد : ٣٠٤١ .

(٨٤) المصدر نفسه : ٣٠٤ .

(٨٥) فرانكشتاين في بغداد : ٣٤٧ .

(٨٦)المصدر نفسه : ٣٤٧ .

(٨٧) لسان العرب : ج١/٦٠٥ ، مادة (جرم) .

(٨٨) كتاب العين : ج١/٢٣ ، مادة (جرم) .

المـصادر

أولاً – القرآن الكريم

ثانياً – الكتب

١. ابن منظور : معجم لسان العرب ، دار المعارف ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، (د. ط) ، (د. ت) : ج١ .
٢. ابن منظور : معجم لسان العرب ، دار المعارف، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، (د. ط) ، (د. ت) : ج٢ .
٣. ابن منظور : معجم لسان العرب ، دار المعارف، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، (د. ط) ، (د. ت) : ج٣ .
٤. ابن منظور : معجم لسان العرب ، دار المعارف، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، (د. ط) ، (د. ت) : ج٤ .
٥. ابن منظور : معجم لسان العرب ، دار المعارف، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، (د. ط) ، (د.ت) ، ج٥ .
٦. ابن منظور: معجم لسان العرب ، دار المعارف، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، (د. ط) ،(د.ت) : ج٦ .
٧. الأحمر: فيصل، معجم السيميائيات ، ط١ ، ٢٠١٠ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشروق الأختلاف ، الجزائر العاصمة ، الجزائر .
٨. بن كثير: إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن الكريم ، ط١ ، دار بن حزم ، للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٠ .

٩. بنكرار: سعيد ، السيميائيات . مفاهيمها وتطبيقاتها ، ط٣ ، ٢٠١٢ ، مكتبة الأدب المغربي ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا – اللاذقية .
١٠. دي سوسير ، علم اللغة العام ، ترجمة : د. يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي : د. مالك يوسف المطلبي ، (د.ط) ، ١٩٩٥ ، دار آفاق عربية ، العراق ، بغداد .
١١. راغب: د. نبيل، موسوعة النظريات الأدبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع ، لونجمان ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، القاهرة – مصر .
١٢. سعداوي : أحمد ، رواية فرانكنشتاين في بغداد ، ط٤ ، ٢٠١٤ .
١٣. شاوي : برهان ، رواية مشرحة بغداد، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيرون لبنان ، ط٥ ،٢٠٢١.
١٤. عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناص)، ترجمة عبد الحق بلعابد ،الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٨ .
١٥. عفار: عبد الحميد، الرواية المغاربية ، تحولات اللغة والخطاب ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، شركم للنشر والتوزيع للمدارس ، الدار البيضاء ، المغرب .
١٦. علي: جمال حسين، رواية أموات بغداد، مكتبة ومنشورات بصرياثا، العرا ،البصرة ، ط٢٠٢٢،١.
١٧. الفراهيدي: التحليل بن أحمد، كتاب العين – تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، تصحيح الأستاذ أسعد الطيب ، مؤسسة الميلاد ، إيران ، قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ج١ .
١٨. الفراهيدي: الخليل بن أحمد ، معجم العين ، تحقيق دكتور مهدي المخزومي و دكتور ابراهيم السامرائي ، مؤسسة ميلاد ، قم المقدسة ، ايران ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ج٢ .
١٩. الفراهيدي: الخليل بن أحمد ، معجم العين ، تحقيق دكتور مهدي المخزومي و دكتور ابراهيم السامرائي ، مؤسسة ميلاد ، قم المقدسة ، ايران ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ج٣ .
٢٠. الفراهيدي: الخليل بن أحمد ، معجم العين ، تحقيق دكتور مهدي المخزومي و دكتور ابراهيم السامرائي ، مؤسسة ميلاد ، قم المقدسة ، ايران ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ج٤ .
٢١. فضل: د. صلاح، نظرية البنائية في النقر الأدبي ، دار الشروق، ط١ ، ١٩٩٨، القاهرة ،مصر.
٢٢. الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، راجعه انيس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد ، دار الحديث، القاهرة ، مصر ، (د. ط) ، ٢٠٠٨ .
٢٣. قاموس انكليزي –انكليزي –عربي (Oxford Word Power University Press) .
٢٤. قطوس : دكتور بسام موسى ، سيميائية العنوان ، مكتبة كتانة ، اربد ، الأردن ، ط١، ٢٠٠١ .
٢٥. مبارك : د. حنون، دروس في السيميائيات ، توصيل المعرفة ، ط١ ، ١٩٨٧ .
٢٦. مجمع اللغة العربية ، معجم الوسيط ، ط٤ ، مصر ، مكتبة الشيوخ الدولية ، ٢٠٠٤.
٢٧. معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مصر ، القاهرة ، مكتبة الشيوخ الدولية ، ط٤ ، ٢٠٠٤ .